

هل بدد أ الأمير بن سلمان في تنفيذ تهديداته بنقل الحرب إلى العمق الإيراني بالنظر إلى الهجوم الدموي في الأهواز؟



ولماذا نجزم أن "التغريدة" الإماراتية التي "تشرعه" رسالة يجب أخذها وما خلفها بكل جدية؟ وكيف سيكون الرد إذا حدث فعلاً؟

عبد الباري عطوان

عندما يصرف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إيران بأنها تقف خلف معظم، إن لم يكن جميع، الهجمات الإرهابية في العالم، ويتعهد همد الأمير محمد بن سلمان، ولي العهد السعودي، قبل عام بأنه لن ينتظر حتى تصبح المعركة مع إيران على الأرض السعودية، وسيصدرها إلى عمقها، وتؤكد دولة الاحتلال الإسرائيلي بأنها ستواصل غاراتها في العمق السوري لمنع إيران وأذرعها العسكرية من إقامة قواعد صاروخية فيه، فإن الهجوم الدموي الذي استهدف عرضاً عسكرياً إيرانياً يوم السبت في الأهواز، جنوب غرب البلاد، وأسفر عن مقتل 29 شخصاً بينهم أطفال ونساء ليس مفاجئاً، بل نعتقد أنه جاء متأخراً، وأن هجمات أخرى ربما تكون أكثر دموية في الطريق، فالمنطقة تقف على أعتاب حرب استخبارية إرهابية غير مسبقة ومدمرة لجميع أطرافها.

الرئيس ترامب يفرض حصاراً اقتصادياً خانقاً على إيران ربما يبلغ ذروته في تشرين ثاني (نوفمبر) المقبل عندما يبدأ تطبيق الشق الأهم منه، أي حظر تصدير النفط، والهدف الأساسي هو إنهاك النظام الإيراني، وزعزعة استقراره كمقدمة لتغييره عسكرياً في

نَهايةَ المَطافِ، وَعَلَّامَتنا الذَّجَارِبَ أَنَّ دُرُوبَ أمريكا فِي مَنطَقتنا لَيسَت فُجائِيةً،
وَإنَّما ثِمارُ سَوداءَ لاسِتراتِجِياتِ مَوضُوعَةٍ ومُتَّفَقَ عَلَيا وتَتهَيأُ أسبابها مُنذ سَنواتِ.
الرئيسِ ترامبِ يُدركُ جَيدًا أَنَّ الحِصارَ الاقِصاديَّ لا يُمكنُ أَن ينجَحَ وحده في تَغييرِ أنظِمةِ، وإلا
لَسَقَطَ النِّظامُ الكوريُّ الشِمالِيَّ، وَقَبِلَه النِّظامُ الكوييُّ، وَقَبِلَ الاثنَينِ النِّظامَ العِراقِيَّ
بِقِيادةِ الرئيسِ صدامِ حَسينِ، وَحُكُومَةِ حَركةِ "حاماس" فِي قِطاعِ غَزَّةِ، فَالحِصاراتِ التي لا تَتلوها أَعمالُ
تَدخُّلِ عَسْكَريِّ تُعْطِي نَتائِجَ عَكسِيَّةَ، وَلهَذَا بَدَأَ التَّخْطِيطَ لِإِقامَةِ "ناتو" عَرَبِيٍّ ضِدَّ إِيْرانِ يَمَومِ
الدُّوَلِ الخَلِجِيَّةِ السَّيْتِ، عَلاوَةَ عَلى مِصرِ والأُردنِ والمَغربِ، اسْتِعدادًا لِهَذَا التَّدخُّلِ إِذا
ما تَقَرَّرَ، وَالغاراتِ الجَويَّةِ والصاروخِيَّةِ الإِسْرائِليَّةِ فِي العُمُقِ السُوريِّ أَحدَ فُصولِهِ.

إِيْرانِ دَولَةٌ قَويَّةٌ، تَمْلُكُ مَشرُوعًا اسِتراتِجِيًّا، تُريدُ تَعزيزَه بِقُدرةِ عَسْكَريَّةِ مَحليَّةِ
وَإِقليمِيَّةِ نُواتها فُدرَةِ صاروخِيَّةِ قَادرَةِ عَلى حَسمِ الأُمُورِ عَلى الأَرْضِ، وَتَفرِغِ الهَيمَنَةِ
الجَويَّةِ الغَربيَّةِ مِن أَقوى أسلِحَتِها، أَي فِرْضِ الرُّعبِ، وَبالتَّالِيِ الاسْتِسلامَ عَلى الطَّرفِ الأَخرِ
مُبَكِّرًا، وَانْتَقَلتِ مِن تَصدِيرِ الثَّورَةِ، إِلى تَصدِيرِ القُوَّةِ الصاروخِيَّةِ، وَالْمِيلِيشِياتِ العَسْكَريَّةِ
المُوازِيَّةِ، الأَمْرَ الذِي باتَ يُشْكَكُ فِي قَلقًا "وَجُودِيًّا" لِمُعْظَمِ حُصُومِها، وَخاصَّةً إِسْرائِيلَ
والمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَعودِيَّةِ.

الأَميرُ مُحَمَّدُ بنِ سَلْمانِ، وَلِيُّ العَهدِ السَعودِيِّ، وَالْحَلِيفُ الأوثَقُ لِلرئيسِ ترامبِ فِي المَنطَقةِ،
وَالعَمُودُ الفِئْرِي لاسِتراتِجِيَّتِهِ فِي زَعزَعَةِ أَمْنِ واسْتِقرارِ إِيْرانِ مِنَ الدَاخلِ، ما كانَ سَيُدلِّي بِهَذِهِ
التَّصْريحاتِ قَبْلَ عَامِ التي هَدَّدَ فِيها بِنَقْلِ الحَرْبِ إِليها، لولا اطلَّاعِهِ عَلى الخُطَطِ الأَمْرِيكيَّةِ
وَالإِسْرائِليَّةِ المُشْتَرَكَةِ لِتَغييرِ النِّظامِ الإِيْرانيِّ، وَمَراحِلِها المُتَعَدِّدَةِ، فَهَذِهِ هِيَ
المَمرَّةُ الأُولَى فِي تَاريخِ الصِّراعِ السَعودِيِّ الإِيْرانيِّ التي يَتَجَرَّأُ فِيها مَسْؤُولُ سَعودِيٍّ عَلى
الحَدِيثِ عَلاوَةَ "نوايا" بِتَثْوِيرِ الأَقْليَّاتِ الطائِفيَّةِ وَالعِرقِيَّةِ فِي الدَّخْلِ الإِيْرانيِّ، فَجَمِيعُ
المُلُوكِ السَّعودِيِّينَ لَم يَجاهِرُوا مُطْلَاقًا وَرَسمِيًّا بِالتَّدخُّلِ الرَسميِّ فِي دُوالِ أُخْرَى،
وَإِذا زَمَمَ المُبادِرَةَ بِنَقْلِ الحَرْبِ إِليها إِلا فِي العَهدِ الحَاليِّ، مِثْلَما شَاهدنا فِي
اليَمَنِ، وَسَنُشاهِدُ فِي إِيْرانِ.

مِنَ هَذَا المُنْطَلَقِ كانَ لَافِتًا أَنَّ الحَرسَ الثُوريَّ الإِيْرانيَّ الذِي أَصابته عَمليَّةُ الأَهوازِ هَذِهِ فِي
مَقْتَلِ، وَجَرَحاتِ كِبريائِهِ، فِي وَقتِ تَوالِيِ انتِصاراتِهِ وَحُلُفاؤِهِ المُباشِرَةِ وَغَيرِ المُباشِرَةِ فِي
العِراقِ وَسُورِيَةَ وَالْيَمَنِ، سارَعَ بِاتِّهَامِ "مَجمُوعَةِ انْفِصالِيَّةِ" عَرَبِيَّةِ تَدعِمْها المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةِ
السَعودِيَّةِ بِالوُقُوفِ خَلْفِ هُجُومِ الأَهوازِ، وَتَوَعَّدَ بِانْتِقامِ حاسِمِ، وَكَرَّرَ التَّهْديدَ نَفْسَهُ السَيِّدِ
عَلِي خامِني، المُرْشَدَ الأَعْلَى، وَحَسَنَ رُوحانِي، رَئيسَ الدَّولَةِ، وَمَسْؤُولونَ آخَرونَ.

لا نَعْتَقِدُ أَنَّ "التَّغْريدَةَ" الَّلافِتَةَ التي أَطْلَقَها الدَكتورُ عبدُ الخالِقِ عبدُ الذي يُوصَفُ

بأنه أحد أبرز مُستشاري الشيخ محمد بن زايد، ولي عهد أبوظبي، ونفّس فيها صفة الإرهاب عن هُجوم العَرَض العسكريّ، وأضفَى عليه صفة المشروعية، جاءت زلّة لسان، وإنّما بتوجيهٍ مُباشِرٍ ومَدروسٍ من قيادته بالتّسيق مع نَظيرتها السعودية، وإلا يَتِم حذفها بسُرعة كوسيلةٍ للتّبرؤ منها، وزجّ صاحبها في السّجن، ولكن هذا لم يحدّث.

نَشْرَح أكثر ونقول بأنّ الحديث في المَجالات العسكريّة ليست مَيدانًا مَفتوحًا للاجتهاد أمام المُغرّب دين العرب والخليجين تحديداً، وكُلّ كَلِمة محسوبة بدقّة وعناية فائقة، ومُوحىّ بها، لإيصال رسالةٍ مُحدّدة إلى أكثر من جهة، فالدكتور عبد الله أكاديمي سياسي، وليس ناطقًا عسكريًا، ليَقول بأنّ "نقل المعركة إلى العمق الإيرانيّ خيارٌ مُعلنٌ وسيزداد خلال المرحلة المُقبلة"، انطلاقيًا من تقديراتٍ شخصيّةٍ بحثيّةٍ.

بالنّظر إلى ما تقدّم، نستطيع أن نجزّم بأنّنا نَقِف الآن أمام حرب أجهزة استخباريّة تستهدف العمق الإيرانيّ، تأتي في إطار خُطّةٍ مُحكّمةٍ تُركّز على تَجنيد بعض الأقليّات العربيّة والعرفيّة السنيّة والأزريّة والبلوشية (تقع مُعظمها في جنوب شرق إيران بمُحاذاة باكستان وأفغانستان وتُمثّل لها مُنظّمة جُنْد الله السنيّة المُتشدّدة)، على غرار ما حدّث في أفغانستان إبان الحِقبة السّوفيتيّة، والتي انتهت بانهياء نظام محمد نجيب السّوفيّتيّ.

رُبّما من السّابِق لأوانه القول بأنّ فُرَص هذا المُخطّط من النّجاح كبيرة، فالمُقارنة بين سُلطة الثّورة الإسلاميّة في إيران والنظام الشيوعي الأفغاني غير جائزة، وفي غير محلّها، رغم أنّ الولايات المتحدة هي رأس حربة في المُخطّطين، والسعودية هي أحد أبرز السّلاطين في دَعَمها ماليًا وعسكريًا وطائفيًا وأيديولوجيًا، فالقوارق هُنا كبيرة جدًّا، مُضافًا إلى ذلك أنّ الزّمن تغيّر أيضًا.

إيران تَمَلِكُ خِبرةً أكثر عمقًا في الحُرُوب "الاستخباريّة" بالمُقارنة مع المملكة العربيّة السعوديّة وبعض حُلُفائها في منطقة الخليج (الكويت وقطر وسلطنة عُمان أدانت الهجوم الدموي على العَرَض العسكريّ ووصفته بالإرهاب)، وازدادت هذه الخبرة "عمليّةً" من خلال حوض الأذرة الاستخباريّة الإيرانيّة ثلاث حُرُوب بشكلٍ مُباشِرٍ، في ثلاثة ميادين قتاليّة هي سورية والعراق واليمن ضدّ الدولة الإسلاميّة حُصومًا، وبصُورةٍ غير مُباشرةٍ في جنوب لبنان وقِطاع غزّة، أمّا الخبرة الاستخباريّة السعوديّة، فلم تُختبر عمليًا إلا في دولتين هُما اليمن وسورية، وجاءت الإنجازات "مُتواضعة" حتّى الآن على الأقل، بالنّظر إلى النّتائج.

إيران تُواجه، ومُنذ ثلاثين عامًا، تدخّلاتٍ خارجيّةٍ، وثوَرَاتٍ داخليّةٍ، وحركات انفصاليّة مع الجار العراقيّ، وكان لافتًا أنّ الانهيار لم يَكُن أحد الأخطار التي تُهدّد نظامها في أيّ يومٍ من الأيام، بل إنّها تُصبح أكثر قُوّة وصلابةً، وتخرُج من إنجازٍ عسكريّ

الرئيس ترامب يُريد تَوَربط المملكة العربية السعودية وِخلفائها الخَلِيجيين، وبعض السُّنَّة العرب، في حَربٍ "إرهابٍ" استخباريَّةٍ خَطِرة ضدَّ إيران، تَسْتَنزِلُها ماليًّا أوَّلاً، وقد تُهدِّدُ أَمْنَهَا الداخليَّ ثانيًّا، فيه، أي السعودية، وقد تحتاج فيه إلى الاستقرار بالنظرة إلى المَرحلة الانتقاليَّة "الحادَّة" التي تَمُرُّ بها حاليًّا في العَهْدِ السِّلْمانيِّ، فمِثْلما هُنَاك أدوات يُمكن أن تُوطِّئَها المملكة بتَحريضٍ أمريكيٍّ لِزَعزعة استقرار إيران، فإنَّ هُنَاك أدوات وطُرق أُخرى يُمكن أن تَسْتخدِمها إيران أيضًا، ويَكفي إلقاء نظرة سريعة على ما حَقَّقته الأذرع الثوريَّة والسياسيَّة والعسكريَّة الإيرانيَّة في الجِوارِين العراقيِّ والسوريِّ، بالإضافة إلى الجارِ اليمنيِّ البَعِيد، الذي يتصدَّى لحَربٍ ربِّما تكون الأطوَل في تاريخه.

المُشْكِلة في تَقديرنا لا تَكْمُن في وَصفِ الهُجُوم على العَرَض العسكريِّ في الأهواز بالإرهاب أو عَدَمِهِ، وإنَّما في التَّبيِّحات التي يُمكن أن تترتَّب عليه، إذا بدَأنا نَدخُلُ مرحلة التَّسَوُّرِ ط في "الحَرب الاستخباريَّة" التي أبرَز عناوينها "الإرهاب" والإرهاب المُضاد، في وَقتٍ تَلَجَأُ الدُّوَل إلى الحوارِ لحَلِّ أزماتها فيها هُما زعيما الكوريتين الشماليَّة والجنوبيَّة يتفاوِضان لإنهاء حَربٍ استمرَّت سَبْعين عامًّا تقريبا، وكادَت أن تتحوَّل إلى حَربٍ نوويَّةٍ.

أمريكا تَلعَب بالنِّزَّار في حُرُوبها الاستخباريَّة والاقتصاديَّة التي أشْعلت فتيلَها في المِنطَقة وبتَحريضٍ إسرائيليِّ، ولكن المُفارقة أنَّ أصابع السعودية، وربِّما دُوَلٌ أُخرى هي الأكثر عُرضَةً للاحتراق.. ورُبِّما التَّسَفُّحُ م.. وإِءْلام.